

المجلة

بجدة الكبرياء للعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشوارع السلطان حسين
رقم ٨١ - بابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ٢٠ ملياً

الاعلونات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٩٣ « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٦٥ - ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

الضد والنقيض

في الفلسفة المادية الثنائية

للاستاذ عباس محمود العقاد

—♦♦♦♦—

تناولت في كتابي الأخير عن ابن سينا خلاصة الفلسفة المادية الثنائية فقلت في تلخيصها إن « من قوانينها اجتماع الأضداد فيها ريثما يتقلب ضد منها على ضده بشيرا تقطع لهذه المثالية الدائمة، وإن الصفة الكمية فيها تتحول إلى الصفة « الكيفية » فتنشأ الحياة كما ينشأ العقل من هذا التحول، إما على التدرج وإما طفرة كما يظهر بعض أنواع النبات من الأنواع الأخرى، فلا توجد كيفية إلا وهي نتيجة التنير في الكمية، ولا توجد حالة قط إلا وهي تنطوي على ما يناقضها، فلا تبلغ تمامها إلا ظهر منها النقيض الذي تنطوي عليه ... »

وقد كانت هذه النبذة موضع ملاحظة بين بعض المشتغلين بالباحث الفلسفية، لأنهم وهموا أن إيراد النقيض وال ضد في عبارة واحدة يدل على استخدامهما بمعنى واحد. وهما مختلفان

وتصحيح هذا الوم أن النقيض يأتي بمعنى الضد، لأن كل نقيض لشيء من الأشياء فهو ضده بلا استثناء، ولا خطأ إذن من الوجهة العامة في الجمع بين الكلمتين في سياق واحد، ولا حرج من التخصيص بمد التعميم على الإجمال

تقول هذا من الوجهة العامة التي لا ترتبط بالفلسفة الثنائية المادية أو بغيرها من الفلسفات

أما إذا رجعنا إلى مصطلحات الفلسفة المادية الثنائية فهناك يبدو جلياً أن أصحاب تلك الملاحظة لم يطلعوا على بحث واحد من بحوثها الطويلة في مراجعتها الممتدة؛ لأن شراح الفلسفة المادية الثنائية قد استخدموا في هذا الباب كل مصطلح يحظر على البال في معنى المخالفة والمباينة

فاستخدموا معنى التناقض في كل شرح من شروحه المطولة

Contrasts أو Contradictions

واستخدموا معنى التضاد (أو التقابل) Opposites

واستخدموا معنى التقابل antisethis

واستخدموا معنى التباين Change

واستخدموا في جميع هذه الأحوال كلمة التناقض أو التناسخ

أو التناقض في أقوى معانيه Negation

فن أمثلة استخدامهم لمعنى التناقض شعارهم الذي اقتبسوه

من هيغل حيث يقول بالنص الإنجليزي:

Contradiction is the root of all movement and vitality

وترجمتها: « أن التناقض هو جذر كل حركة وحيوية »

ومن أمثله قانونهم الثالث الذي يقولون فيه بالنص الإنجليزي:

Each state or phase of development is considered a synthesis which resolves the contradictions contained in the preceding syntheses.

وترجمته: « إن كل حال أو وجه من أحوال التطور ووجوهه يعتبر تركيبة تقرر النقائص المطوية في التركيبة السابقة »

ومن أمثلة استخدامهم لمعنى التضاد قانونهم الأول الذى نصه بالإنجليزية The law of the unity and Conflict of opposites

وترجمته: « قانون الأتحاد والتنازع فى الأضداد »

ومن أمثله قول لينين فى شرح هيجل بنصه الإنجليزية : Development is in fact the conflict of opposites

وترجمته: « إن التطور فى الواقع إنما هو التنازع بين الأضداد »
ومن أمثلة استخدامهم لمعنى التقابل قول كارل ماركس فى شرح نشأة رأس المال :

The synthesis negates and overcomes both the thesis and also the antithesis .

وترجمته : « إن المركب ينقض المقرر كما ينقض ما يقابله ويتغلب عليهما »

ومن أمثلة استخدامهم لمعنى المفارقة كلام الفيلسوف الشيوعى بلخانوف p'ekhanov فى شرح هيجل : « إن الثنائية هى تباين أبدي فى الصور » Eternal change of forms

أما التناقى أو التناسخ أو التناقض ، فأكثر من أن يؤتى له بشاهد أو بضعة شواهد ، وحسبك منه نصن القانون الثالث ، وهو قانون نقي النقي أو نسخ النسخ أو نقض النقض كما يسمونه : The negation of negation ولا يخلو مبحث واحد من مباحث شراحهم من تكرار هذه الكلمة عشرات المرات فى كل سياق فنحن قد لحصنا مذهب القوم بمباراتهم ، ولم نأت بكلمة من عندنا فى معناها اللغوى أو معناها النطقى أو اصطلاحها الفلسفى الذى أرادوه ، وقد ذكرنا النقائص والأضداد لأنهم أكثروا من ذكرها فى أمهات كتبهم ومطولات شروحهم ، ولم يدعوا لونا من ألوانها فى التعبير الفلسفى والتعبير اللغوى إلا ذكروه وكرروه

ولم يخطئ القوم فى استخدام هذه المصطلحات ، لأنها تليق بهم جميعاً فى مواضعها وتفيدهم فى تفسير أطوار المادة وأطوار المجتمع الاقتصادية على اختلافها وتناقب مظاهرها وصفحاتها ولكنهم إذا استغنوا عن بعض هذه المصطلحات فهم أحوج

ما يكونون إلى مصطلحين منها ، وهما النقائص والأضداد فلا يخفى أن مذهب القوم يدور على الحتم والضرورة ، وقد سماه بعضهم بالحمية السادية أو material determinism ، لأنه لا يسمح بفكرة المشيئة الإلهية التى تقضى بالإرادة والاختيار فى تدبير هذا العالم

فالحالة المادية تخرج نقيضها على سبيل الحتم والضرورة لا على سبيل المشيئة والتدبير ، ولهذا وجب عندهم أن تخرج نقيضاً واحداً لا اختيار فيه ، ولو كانت تخرج شيئاً فى طبيعية الأضداد المتعددة لاقتضى ذلك مشيئة تميز بين الأضداد وترجع بعضها على بعض فى التطور من حال إلى حال . ولا يخفى أن الشيء قد تكون له أضداد كثيرة غير أضداد التقابل ولا يكون له غير نقيض واحد ليس يقبل التعدد والتكرار

فذكر النقيض فى مذهبهم لازم على قدر ما فى هذا المذهب من الحتم والضرورة

أما الأضداد فلزومها عندهم أن الحالة اللاحقة تنقض الحالة السابقة ، ولكن السابقة لا تنقض اللاحقة ولا تبطلها ولا تنفيها . فهى مضادة لها وليست ناقضة لها أو واقنة عندها موقف النقيض من النقيض

ومثال ذلك فى مذهب القوم أن طور الصناعات البخارية ينقض طور الصناعات اليدوية لأنها تأتى بعدها . ولكن الصناعات اليدوية لا تنقض الصناعات البخارية التى تمعقها ، وكذلك عصر المدن التجارية ينقض عصر الإقطاع ، ولكن عصر الإقطاع لا ينقض عصر المدن التجارية ، وقس على ذلك جميع الأدوار فى ترتيب التطور الاقتصادى ، أو ترتيب التطور فى مادة الكون على التعميم

فإذا تعددت هذه الحالات ، فالأصح أن تسمى كلها أضداداً بعضها لبعض ، لأن هذه الصفة تصدق عليها جميعاً بلا استثناء ، ولكنك لا تسمى السابق منها ناقصاً لما أتى بعده ولا مناقضاً له إلا فى عالم العقل دون عالم الواقع الذى يفسره الماديون الثنائيون . وبعد ، فهذه همسة فى الأذان المفتحة ، وعركة فى الأذان

الخلقة ، وقد يفتح العرك ما استغلنق من الأذان !!

عباس محمود العقاد